

خبرة تطور الصراع العربي-الإسرائيلي: الاحتلال والمقاومة عبر مائة عام

مرورة يوسف*

مقدمة:

يمكن أن نرجع بداية الصراع العربي الإسرائيلي الصهيوني إلى نهايات الدولة العثمانية وتساعد النزعة الصهيونية في أوروبا، ففي النصف الثاني من القرن التاسع عشر بدأت مظاهر الضعف تظهر على الخلافة العثمانية، وما تبعه ذلك من ضعف المناطق التي تسطير عليها وضمها المنطقة العربية مما أدى إلى ظهور حركات مناوئة للخلافة، وفي نفس الوقت بدأت قوى أخرى في الظهور خاصة في أوروبا مثل فرنسا وبريطانيا حيث وجه الاثنان أنظارهما إلى أنحاء الخلافة العثمانية للاستيلاء عليها، ومن جانب آخر تصاعدت النزعة الصهيونية في أنحاء العالم وعلى أثرها انعقدت المؤتمرات الصهيونية لإيجاد وطن قومي لليهود كما كان تيودور هرتزل يحلم. ثلاثة عوامل رئيسية أسهمت في تشكيل ما أصبح يطلق عليه الآن الصراع العربي-الإسرائيلي والذي اتضحت معالمه مع هزيمة الخلافة العثمانية في الحرب العالمية الأولى. ونستطيع أن نحدد بدايته باتفاقية سايكس-بيكو والذي فيه قررت كل من بريطانيا وفرنسا تقسيم المنطقة العربية بينهما، وتتشابك تلك الوقائع بشكل مركب لإعادة تشكيل المنطقة خاصة فيما يتعلق بإنشاء وطن قومي لليهود خاصة مع تصاعد الحركات الراضية لوجودهم في أوروبا، إلا أن ما جعل الصراع واقعًا حقيقيًا هو وعد بلفور، فهو عبارة عن رسالة من وزير الخارجية البريطاني إلى أحد الأغنياء اليهود في بريطانيا ونصه كالتالي:

"عزيزي اللورد روتشيلد... يسرني جدًا أن أنقل إليكم بالنيابة عن حكومة جلالتهم، التصريح التالي المتعاطف مع أماني اليهود الصهاينة، وقد عرض على الوزارة وأقرته: إن حكومة صاحب الجلالة ترى بعين العطف تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق تلك الغاية، على أن يفهم جليًا أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين، أو الحقوق والوضع السياسي التي يتمتع بها اليهود في أي بلد آخر). وسأكون ممتنًا إذا ما أحطتم الاتحاد الصهيوني علمًا بهذا التصريح".....المخلص/ آرثر جيمس بلفور'

جاء ذلك الخطاب والذي عرف لاحقًا بوعد بلفور ليضع المشروع الصهيوني في مساره المتوافق مع إنشاء دولة قومية لليهود خاصة في فلسطين، وعلى الرغم من ذلك فلم يكن الخطاب أي قوة قانونية تذكر في تحقيق ذلك الحلم اليهودي، خاصة أنه في وقت إصدار تلك الوثيقة ٢ نوفمبر ١٩١٧ لم تكن لبريطانيا أي سلطة تذكر على فلسطين، ولكن الأحداث والفواعل الدولية التي ظهرت بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى هي من حققت ذلك الحلم اليهودي خاصة مع دخول اتفاقية سايكس-بيكو في حيز التنفيذ، وهو ما ستناوله هذه الورقة ولكن نستطيع القول إن ذلك الخطاب، ذلك الوعد، وكما قال أحدهم، أسس لمأساة القرن^١.

تناول الورقة المسار التاريخي للصراع عبر مائة عام من إصدار وعد بلفور في ١٩١٧، والذي يمكن تقسيمه إلى أربع مراحل: الأولى: مرحلة التشكل من ١٩١٧-١٩٤٨، الثانية: مرحلة الحروب الجيوش النظامية من ١٩٤٨-١٩٧٩، الثالثة: مرحلة السلام ومحاولات التطبيع من ١٩٧٩-٢٠١٠، والرابعة: الصراع العربي الإسرائيلي والثورات العربية

* باحثة بمركز الحضارة للدراسات السياسية

^١ - وسام حسن الباش، دراسة: وعد بلفور... الحقائق التاريخية، مجلة القدس، (القاهرة: مركز الإعلام العربي، العدد ١٤٤، السنة الثانية عشر، ديسمبر ٢٠١٠) ص ٢٧-٣٨.

^٢ - المرجع السابق.

٢٠١٠-...؛ لنستخلص أهم سمات ذلك الصراع عبر مائة عام. ومن الملاحظ أن المراحل الثلاث الأولى استغرقت لك واحدة منها ثلاثة عقود (٣١ عامًا) ليتغير شكل الصراع فيها وفيما بينها، وهذا ما ستركز عليه الورقة.

المرحلة الأولى - تشكل الصراع العربي-الإسرائيلي من ١٩١٧-١٩٤٨:

بدأت تلك المرحلة بوعد بلفور السابق الذكر، ونهاية الحرب العالمية الأولى، بالإضافة إلى اتفاق سايكس-بيكو، وبحلول عام ١٩١٨ احتلت القوات البريطانية فلسطين. ولفهم رؤية الانتداب البريطاني وأهدافه، يكفي أن نذكر مذكرة بلفور أرسلها في ١٩١٩ إلى أحد اللوردات يشرح له خطط بريطانيا لفلسطين فقال: "بالنسبة لفلسطين، نحن لا نقتراح حتى مجرد استشارة رغبات السكان الحاليين... إن القوى الأربع الكبرى ملتزمة بدعم الصهيونية وسواء كانت الصهيونية على حق أو على باطل، حسنة أو سيئة، فإنها عميقة الجذور في التقاليد، وفي احتياجات الحاضر، وآفاق المستقبل... وأعظم بكثير من ظلمات ورغبات ٧٠٠ ألف عربي يسكنون الآن في هذا البلد القديس"^٢. وبحلول ١٩٢٠ بدأ الانتداب البريطاني الفعلي على فلسطين وأقرته عصبة الأمم في ١٩٢٢، وتم تضمين وعد بلفور ضمن قرار الانتداب بصرف النظر عن رغبات السكان في فلسطين في ذلك الوقت، وسمحت بريطانيا بالتوسع في الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وعينت أول مندوب سام لها هيرت صمويل؛ حيث بدأ في تطبيق المشروع الصهيوني على الأرض^٤.

أدت تلك السياسة المؤيدة للصهيونية والمتجاهلة للرغبات العربية الشعبية إلى ظهور المقاومة العربية. ولكن يمكننا أن نرجع إرهابات مقاومة المشروع الصهيوني بالفترة ما بين ١٨٨١-١٩١٧؛ حيث اتخذت شكل التعبئة الصحفية لمطالبه العثمانيين خاصة مع صعود الاتحاد والترقي في الآستانة بمنع اليهود من التوطن والتملك وهاجمت المستوطنات التي تم إنشاؤها وتنظيم المظاهرات وتوزيع المنشورات وتشكيل لجان منع بيع الأراضي^٥.

ونتيجة لاستمرار السياسات البريطانية اندلعت الكثير من الثورات كانت أولها في القدس ١٩٢٠ وسميت بثورة العشرين أو ثورة النبي موسى^٦، ثم ثورة يافا عام ١٩٢١ حيث هوجمت المستوطنات الصهيونية ونتج عن ذلك مقتل عدد من المهاجرين اليهود، فتصدت القوات البريطانية بعنف كبير لتلك الثورة مما أدى إلى انتشار الاضطرابات في عموم فلسطين^٧، حاولت بريطانيا احتواء الثورة فألفت لجنة للتحقيق وصدر الكتاب الأبيض ١٩٢٢ وفيه أصرت بريطانيا على مساندة الاحلام الصهيونية ولكنها أعربت على أن الوطن القومي لليهود لا يعني جعل فلسطين يهودية بالكامل، وتلك كانت إرهابات التقسيم.

ووقعت ثورة أخرى في يافا في ١٩٢٤ نتيجة لسخرية بعض اليهود من رجال الدين الإسلامي، وأضربت البلاد إضرابًا عامًا مع زيارة بلفور لافتتاح الجامعة العبرية في ١٩٢٥، فضلًا عن المؤتمرات العربية وبلغت سبعة مؤتمرات في نهاية ١٩٢٨^٨.

^٢- د. محسن محمد صالح، القضية الفلسطينية: خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة، (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ٢٠١٢)، ص ٣٥

^٤- المرجع السابق، ص ٤١.

^٥- بشير أبو القرايا، النموذج الانتفاضي الفلسطيني: دراسة في الحركة الوطنية والظاهرة الإسلامية، رسالة دكتوراة، إشراف د. نادية محمود مصطفى، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ٢٠٠٧، ص ٩٩.

^٦- عصام عبد الرحيم محمد، الإرهاب الصهيوني خلال فترة الانتداب البريطاني في فلسطين ١٩٢٢-١٩٤٨، رسالة ماجستير، إشراف د. السيد رجب حراز، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٩.

^٧- فلاح خالد علي، فلسطين والانتداب البريطاني (١٩٣٩-١٩٤٨) رسالة ماجستير، إشراف د. السيد رجب حراز، كلية الآداب، جامعة القاهرة، قسم التاريخ، ١٩٧٤.

^٨- المرجع السابق.

وكانت أنماط المقاومة ما قبل انتفاضة البراق ١٩٢٩ تتراوح بين النشاط السلمي والمدني الممزوج بقليل من العنف واشتملت على: إصدار المذكرات والبيانات والاحتجاجات والنداءات والبرقيات، وإقامة الاحتفالات المسيسة، وإلقاء الخطابات وكتابة المقالات الصحفية، هذا فضلاً عن التظاهرات السياسية وأساليب العصيان، وإرسال الوفود للتفاوض حول المطالب الوطنية وإسماع وجهة النظر للرأي العام العالمي البريطاني والأوروبي بخاصة، وعقد المؤتمرات لتعبير عن الصوت الفلسطيني وإثبات حجية القيادة السياسية وتمثيلها لأبناء فلسطين^٩.

انتفاضة البراق: ونتيجة لاستمرار سياق استمرار الهجرة اليهودية، ودعم بريطانيا لمساعيها من جانب، وفشل المساعي الدبلوماسية حتى الآن، قامت ثورة في ١٩٢٩ وسميت بثورة البراق بسبب محاولة بعض الصهيونيين الاحتشاد عند حائط البراق^{١٠}، حيث ثار العرب ضد بريطانيا والصهيونية. وخلال الفترة من ١٩٢٩ وحتى ١٩٣٦ لم تهدأ المظاهرات والاشتباكات بين العرب من جهة وبين الجنود البريطانيين والصهاينة والمستوطنين من جهة أخرى^{١١}. وتشكلت في تلك الفترة الحركة الوطنية الفلسطينية وكان من قادتها موسى كاظم الحسيني والحاج أمين الحسيني مفتي القدس، والشيخ عز الدين القسام الذي أنشأ الحركة الجهادية في بداية الثلاثينيات، وتعد ثورة البراق هي بداية الثورة العربية الكبرى ضد المخطط الصهيوني البريطاني لأرض فلسطين^{١٢}.

الثورة العربية الكبرى ١٩٣٦: وبدأت تلك الثورة على يد مجموعة قسامية عندما قتلوا اثنين من الصهاينة، حيث تداعت الأحداث بعد ذلك ودخلت فلسطين في إضراب عام بدأ في أبريل ١٩٣٦ واستمر ستة أشهر؛ ويعد أطول إضراب عام قام به شعب، وانضم إلى الثورة أشخاص من مختلف أنحاء الوطن العربي أبرزهم فوزي القاوقجي (الذي سيقود جيش الإنقاذ والتحرير لاحقاً)، ولم ينته إلا بعد نداء من الملوك والأمراء العرب، حيث وجه كل من الملك غازي ملك العراق والأمير عبد الله أمير شرق الأردن نداء إلى الثورة بوقفها بعد وعود بريطانيا لهم بأنها ستحقق العدالة^{١٣}. وأعلنت بريطانيا عن إنشاء لجنة للتحقيق في أسباب الثورة وخلصت إلى أنه من الأفضل تقسيم فلسطين بين العرب واليهود وذلك في عام ١٩٣٧؛ ونتيجة لذلك اشتعلت الثورة مرة أخرى في جميع أنحاء البلاد، واستمرت إلى أن ألغت بريطانيا تلك النتيجة ودعت إلى مؤتمر يضم القادة العرب لحل الأزمة، وفشل ذلك المؤتمر، وإصدرت الحكومة البريطانية الكتاب الأبيض التي تعترف فيه بحق الفلسطينيين في الأرض وأن ما تريده بريطانيا دولة فلسطينية، وتقليل الهجرة اليهودية، وكان من أهم ظواهر تلك الثورة هو ظهور التنظيمات المقاومة المسلحة^{١٤} مثل: جيش الجهاد المقدس^{١٥}.

^٩ - د.محمد خالد الأزعر، جيش الجهاد المقدس في فلسطين ١٩٣١-١٩٤١، (ف) د.عبد الوهاب بكر (محرر)، فلسطين بعد خمسين عاماً على حرب ١٩٤٨، أعمال ندوة عقدت في دار الكتب والوثائق القومية فبراير (٢٣-٢٤) ٢٠٠٠، (القاهرة: مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ٢٠٠١) ص ١٧٧-١٧٨.

^{١٠} - من ذاكرة القدس: ثورة البراق، متاح على موقع الجزيرة، على الرابط التالي: <https://goo.gl/FdKFAY>

^{١١} - انظر في ذلك كل من:

- فلاح خالد علي، مرجع سبق ذكره.

- د.محسن محمد صالح، مرجع سبق ذكره، ص ٤٧-٥١

^{١٢} - المرجع السابقة.

^{١٣} - د.جمال سلامة علي، ذاكرة أمة: قراءة في ملفات الصراع العربي الإسرائيلي، (القاهرة: دار النهضة العربية، ٢٠٠٩) ص ٤٣٧-٤٣٩.

^{١٤} - د.محسن محمد صالح، ص ٥٥-٦٦.

^{١٥} - حول جيش الجهاد المقدس انظر كل من:

- د.محمد خالد الأزعر، مرجع سبق ذكره، ١٧٧-١٨٢

- د.محسن محمد صالح، مرجع سبق ذكره، ص ٥٥-٦٦

- د.محمد خالد الأزعر، مرجع سبق ذكره، ١٨٣-٢٠٥.

- تعود بدايات تنظيم الجهاد المقدس إلى عام ١٩٣١، وأسسها عبد القادر الحسيني نجل الزعيم موسى كاظم الحسيني رأس الحركة الوطنية الفلسطينية، جاءت نشأة هذا التنظيم أو الجيش أو الحركة أو حسبما يطلق عليه في نطاق الحركة الوطنية الفلسطينية بين عامي ١٩٢٩-١٩٣٦، وقد مر الجيش بثلاث مراحل وهي: التهية والإعداد، وهي المرحلة الأولى منذ عام ١٩٣١-١٩٣٥، وكانت مرحلة مفردة في السرية تمكنت الحركة من إنشاء ١٧ فرع في العديد من المدن الفلسطينية وقراها من

وبانتهاء ثورة ١٩٣٦-١٩٣٩ تم تعليق الجهاد المقدس ولم تتحدد حركته إلا مع قرار التقسيم ١٩٤٧؛ وهو القرار الناتج عن نهاية الحرب العالمية الثانية بالأساس واستطاعة اليهود تحويل دفتهم إلى الولايات الأمريكية المتحدة-القطب الصاعد في القوى الكبرى- بالإضافة إلى استغلال المحنة اليهودية في ألمانيا من أجل التأكيد على أحقية اليهود في وطن لهم.

أما على السياق العربي الرسمي وموقفه من وعد بلفور وما بعده، فقد عقد فيصل بن الشريف حسين مع حاييم وايزمان في عمان ١٩١٨ اتفاقية، يعطي فيها فيصل وعدًا لليهود بمنحهم تسهيلات لإنشاء وطن في فلسطين^{١٦}. ومن جانب آخر، وعند افتتاح الجامعة العبرية ١٩٢٥ في القدس تم دعوة العديد من المثقفين العرب للاحتفال، فأرسل طه حسين برقية تهنئة، وحضر احتفال وضع حجر الأساس للجامعة أحمد لطفي السيد الذي كان يعرف بـ"أستاذ الجيل" في مصر، بل إن السلطات البريطانية فرضت على مفتي القدس ومطران القدس المشاركة بوضع حجارة الأساس في الجامعة^{١٧}.

تنتهي تلك المرحلة بدخول الجيوش العربية إلى أرض فلسطين لتبدأ مرحلة أخرى من مراحل الصراع، ومع النظر في المرحلة السابقة فإنها تنفي كل الصور النمطية والأكاذيب التي انتشرت حول تلك الفترة من سكوت وسكون على ما يحدث أو بيع الأراضي كما أذيع وشاع بين الناس. ويمكن القول إن تلك المرحلة لم يتشكل فيها الصراع فقط وكيفيته وحدوده، بل تشكلت أيضًا المقاومة ونموذجها الحضاري، فلقد ارتبطت القضية منذ البداية بالأمة الإسلامية ولحظات تفككها وضعفها، وارتبطت القضية أيضًا بالتعاقد بين المسلمين فلم تكن روح القطرية أو القومية قد تغلغلت بعد في نفوس الشعوب؛ حيث هب الناس من مختلف الأقطار الإسلامية لنصرة المسلمين في فلسطين وذلك على الرغم من أن السياق العالمي والإقليمي الإسلامي كان واقعاً تحت الاستعمار بعد سقوط الخلافة العثمانية، حيث لم تنته الخلافة الإسلامية فقط ولكن تمت إعادة تشكيل المنطقة العربية حسب رؤية الدول الغربية لمصالحها؛ ذلك التشكيل الذي سيشكل العديد من الإشكاليات التي ستصاحب شعوب المنطقة طوال المئة عام بعد وعد بلفور، هذا بالإضافة إلى أن تلك المرحلة -ونتيجة لما سبق- قد ظهر فيها وفي التي تليها إرهابات الدول القومية العربية.

المرحلة الثانية- مرحلة حروب الجيوش النظامية من ١٩٤٨-١٩٧٩:

أجل تعبئة وإعداد الشباب للقتال وتسليحه؛ وقد كان الهيكل التنظيمي للجيش على أساس خلايا منفصلة لتسهيل كل من العمليات التي يقومون بها بالإضافة إلى حماية أفراد الخلايا، وبحلول ١٩٣٥ كان عدد قوات الجهاد المقدس نحو ٤٠٠ عضو.

• المرحلة الثانية: التفعيل والتشغيل، وبدأت تلك المرحلة مع بداية الثورة الفلسطينية في ١٩٣٦، حيث شكل الجهاد المقدس ركيزة أساسية في الكفاح المسلح ضد كل من الانتداب البريطاني لتحقيق أهداف الحركة الوطنية الفلسطينية (وقف العمل بتصريح بلفور، إستقلال فلسطين، وقف الهجرة اليهودية، وقف بيع الأراضي لليهود). واعتمد الجهاد المقدس أسلوب حرب العصابات فراح يدمر المواصلات ويهجم على القوافل البريطانية والصهيونية، كما قام باغتيال الموظفين البريطانيين وضباط الجيش والجواسيس وبيعة الأراضي والسماسة، بالإضافة إلى إلقاء المتفجرات على الدوائر الحكومية، ونسف الجسور والعبارات وخطوط السكك الحديدية وتعطيل أنابيب النفط وخطوط الهاتف.

• المرحلة الثالثة: الانطفاء والخبوء: بدأت تلك المرحلة بتفعيل الجهاد المقدس مرة أخرى مع قرار التقسيم، وانضمام إليها العديد من الشباب وتنظيمات أخرى مثل تنظيمي النجادة والفتوة (وهي تنظيمات شبابية تكونت بين عامي ١٩٤٥-١٩٤٦ وعملت على تدريب كوادرها عسكرياً دون الدخول في معارك ومع قرار التقسيم رأت أن تنضم إلى كيان أكبر)، ووصل عدد قوات الجهاد المقدس في ذروة عملياته في ١٩٤٨ إلى عدة آلاف، ونتيجة للعديد من الأسباب خبت قوة الجهاد المقدس في ١٩٤٨ ومن أهمها: مقتل قائده عبد القادر الحسيني في إبريل ١٩٤٨، ضعف التسليح والتمويل الذي واجهه الجهاد المقدس، الخلافات بين القوى والجيوش العربية الأخرى مثل إصرار الجيش الأردني على خضوع الجهاد المقدس لسلطته ورفض الأخير لذلك.

^{١٦} -د.جمال سلامة علي، مرجع سبق ذكره، ص ٣٧٠.

^{١٧} - انظر في تفاصيل افتتاح الجامعة العبرية، الآتي: <https://goo.gl/vnZREu>

بدأت تلك المرحلة بشكل أساسي مع قرار التقسيم الذي أصدرته الأمم المتحدة في نوفمبر ١٩٤٧^{١٨} بموافقة ٣٣ عضوًا ومعارضة ١٣ عضوًا وامتناع ١١ عضوًا عن التصويت، ويتضمن تقسيم فلسطين إلى ثلاث مناطق: المنطقة الأولى ٥٥% من مساحة فلسطين لإنشاء الدولة اليهودية، والمنطقة الثانية وهي ٤٥% من مساحة فلسطين لإنشاء الدولة العربية، والمساحة المتبقية وهي القدس تكون تحت وصاية دولية^{١٩}. ومن جانب آخر، أعلنت بريطانيا انسحابها من فلسطين مايو ١٩٤٨، وكانت الوكالة اليهودية تعد الوضع للانسحاب البريطاني، ففي العاشر من مارس ١٩٤٨ أصدرت الهاجاناه خطة عسكرية مفصلة تعد الجماهير للجلاء الانجليزي، والذي وقع في ١٥ مايو ١٩٤٨.

وتم الإعلان عن قيام دولة إسرائيل في ١٤ مايو ١٩٤٨ وبدأت المرحلة الثانية من مراحل الصراع العربي الإسرائيلي؛ حيث بدأت أولى الحروب العربية-الإسرائيلية والتي استمرت حتى يوليو ١٩٤٩، ونتج عنها ما عرف عربيًا بالنكبة، واشتملت جانبين أساسيين: الأول كانت خطة الهاجاناه والثاني الحرب العربية الإسرائيلية^{٢١}.

الجانب الأول حيث كانت خطة الهاجاناه وأطلق عليها الخطة (د)، وتشمل الاستيلاء على ٨٠% من مساحة فلسطين، وما أسموه بتطهير المناطق الفلسطينية التي ستسقط تحت سيطرتهم، واستلمت كل فرقة من فرق الهاجاناه لائحة بالقرى التي عليها احتلالها وتدميرها. وكانت عمليات التطهير تبدأ بمحاصرة القرى من ثلاث جهات وتترك الرابعة للهروب والإخلاء، أما القرى التي رفض أهلها الرحيل فقد قُتلوا. امتدت عملية التطهير على ثلاث مراحل: المرحلة الأولى بين يناير ١٩٤٧ حتى نهاية صيف ١٩٤٨ حيث تم تدمير المناطق الساحلية والسهول الداخلية وتم طرد السكان بالقوة، المرحلة الثانية: ١٩٤٨-١٩٤٩ وشملت منطقتي الجليل والنقب، المرحلة الثالثة استمرت ما بعد نهاية العمليات العسكرية العربية حتى عام ١٩٥٤ حيث استمرت عمليات الطرد، ومن بين ما يقرب من ٧٠٠ ألف فلسطيني كانوا يعيشون في المناطق التي صنفتها الأمم المتحدة بالدولة اليهودية لم يبق منهم إلا قرابة ١٠٠ ألف فلسطيني والذين أصبحوا لاحقًا عرب الداخل. وكانت حصيلة عمليات التطهير العرقي والتهجير تدمير نحو ٥٠٠ قرية و ١١ مدينة فلسطينية وطرد نحو ٧٠٠ ألف فلسطيني وذبح عدة آلاف آخرين وذلك من خلال بعض المذابح التي شنتها ضد العرب - ضمن الحرب الفعلية والنفسية- من خلال ارتكاب ٣٤ مذبحًا؛ أشهرها مذبح دير ياسين^{٢٢}.

الجانب الثاني الحرب العربية الإسرائيلية وكان لها ثلاث جبهات أساسية، الجبهة الأولى الجيوش العربية النظامية، الجيوش العربية غير النظامية، المقاومة الشعبية والمتطوعين:

^{١٨}-يوميات النكبة، مجلة القدس، (القاهرة: مركز الإعلام العربي، العدد ١٣٨، السنة الثانية عشرة، يونيو ٢٠١٠) ص ص ٧٤-٧٥.

^{١٩}-محمد أمين، في الذكرى الـ ٦٤ لقرار التقسيم: صراع الإدارة والقرار في إعلان الدولة الفلسطينية، مجلة القدس، (القاهرة: مركز الإعلام العربي، العدد ١٥٥، السنة الثالثة عشر، نوفمبر ٢٠١١) ص ص ٣٣-٣٤.

^{٢٠}-الهاجاناه وهي كلمة عبرية تعني الدفاع و هي منظمة صهيونية عسكرية تأسست عقب ثورة النبي موسى في القدس ١٩٢٠، وبدأ نشاطها الفعلي في محاولة لقمع الثورة ١٩٢٩، وتعاونت قوات الهاجاناه في إخماد الثورة العربية الكبرى ١٩٣٦-١٩٣٩، بحلول العام ١٩٣٦، أصبح أعداد الهاجاناه ١٠٠٠٠ مقاتل و ٤٠٠٠٠ من الإحتياط. وخلال ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩، قامت الهاجاناه بحماية المصالح البريطانية في فلسطين وقمع الثوار الفلسطينيين. وبالرغم من عدم إعتراف الحكومة البريطانية بالهاجاناه، إلا ان القوات البريطانية قامت بالتعاون وبشكل كبير مع منظمة الهاجاناه فيما يتعلق بالقضايا الأمنية وأمور القتال. وكان الهدف من تأسيسها الدفاع عن أرواح وممتلكات المستوطنات اليهودية في فلسطين خارج نطاق الانتداب البريطاني. وبلغت المنظمة درجةً مما أهلها لتكون حجر الأساس ل جيش إسرائيل الحالي. وساهمت الهاجاناه في إنشاء ٥٠ من المستوطنات اليهودية في فلسطين وتهجير الفلسطينيين من ديارهم. وللمزيد حول تلك المنظمة انظر الروابط التالية:

- <https://goo.gl/KkaTgm>

- <https://goo.gl/VEVucQ>

^{٢١}-د.أكرم حجازي، الجدور الاجتماعية للنكبة فلسطين ١٨٥٨-١٩٤٨، (القاهرة: مركز مدارات للأبحاث والنشر، ٢٠١٥) ص ص ٢٢٣-٢٢٨.

^{٢٢}- إيلان باية، النكبة في التاريخ والحاضر، (في) مصطفى كعبا (محرر) نحو صياغة رواية تاريخية للنكبة: إشكاليات وتحديات، (حيفا: مدى الكرمل: المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية، ٢٠٠٦) ص ص ٢٦٢-٢٦٤.

الجبهة الأولى الجيوش العربية النظامية، حيث دخلت كل من جيوش مصر والأردن ولبنان وسوريا والعراق والسعودية، أرض فلسطين لمحاربة اليهود بعد قرار التقسيم، وبلغت أعدادها ٢٧ ألف جندي تقريباً، وعين الملك عبد الله ملك الأردن قائداً لتلك الجيوش، ولكن على الأرض كانت الجيوش تابعة لدولها، ويعد غياب القيادة الواحدة لتلك الجيوش أحد أهم أسباب هزيمتها.

الجيوش العربية غير النظامية، كانت جيشين بشكل أساسي: الأول- جيش الجهاد المقدس (وقد سبقت الإشارة إليه)، والآخر جيش الإنقاذ والتحرير بقيادة فوزي القاوقجي وشكلته الجامعة العربية في ديسمبر ١٩٤٧، وتكون من ٣٠٠٠ متطوع من أنحاء العالم الإسلامي، وقد كان القاوقجي في خلاف دائم مع عبد القادر الحسيني قائد جيش الجهاد المقدس، مما أدى إلى ضعف قوة الجيشين معاً.

المقاومة الشعبية والمتطوعون: وقد آتى هؤلاء من جميع أنحاء العالم الإسلامي حتى إنه كان هناك متطوعون من البوسنة وألبانيا، وشارك فيها الإخوان المسلمون تلبية لنداء حسن البنا، وقُتل منهم ما يقدر بحوالي ١٠ آلاف متطوع وتم القبض على الآخرين أثناء عودتهم لمصر^{٢٣}.

أما القوات الصهيونية التي دخلت حرب ٤٨ فكانت تقدر بحوالي ٧٦ ألف مقاتل وكانت مدرية تدريباً عالياً، وتشكلت وقت إعلان نشأة الدولة في عشرة ألوية عسكرية منظمة، واستطاعت تحديد أهدافها وخطط هجومها مسبقاً مما أسهم في نجاحها أمام الجيوش العربية.

في البداية شنت القوات العربية هجوماً على القوات الصهيونية واستطاعت أن تحرز تقدماً، ولكن للعديد من الأسباب وقعت الهزيمة واستطاعت القوات الإسرائيلية الاستيلاء على مساحات جديدة من الأراضي وصلت مجموع ما تستولي عليه ٧٧% من أرض فلسطين. ومن أسباب الهزيمة: ضعف تسليح الجيوش الغربية بالإضافة إلى قلة أعدادها، وقلة التنسيق بينها، واختلاف رؤى القيادات وتضاربها، وعدم وجود خطة هجوم موحدة. وانتهت الحرب بخضوع الضفة الغربية لسيطرة الأردن، وبقاء غزة تحت الإدارة المصرية^{٢٤}.

أما فيما يتعلق بالفترة ما بين ١٩٤٩ حتى ١٩٥٦ فإنها اتسمت بعدد من السمات منها:

١- استمرار خضوع الضفة الغربية للأردن، واستمرار خضوع غزة لمصر، مع رفض أي محاولات من جانب الطرفين لظهور قيادات فلسطينية خاصة الحاج أمين الحسيني، الذي تم إبعاده لمصر لفك الارتباط بينه وبين الشارع الفلسطيني وهو ما نجح في نهاية الأمر.

٢- الانكفاء على الذات من جهة الدول العربية؛ كونها دولاً حديثة الاستقلال نسبياً، وانتشار الانقلابات العسكرية فيها، مع رفع شعارات القومية العربية.

٣- استمرار المقاومة وإن كانت ضعفت بشكل كبير عن المرحلة السابقة، حيث كانت تتضمن اشتباكات بين الطرفين العربي والصهيوني خاصة على مناطق الحدود حيث شهدت الحدود في الضفة الغربية ما يقدر بـ ٧٨٥٠ حادث مقاومة، وعلى الحدود مع غزة حوالي ثلاثة آلاف، وعلى الحدود الشمالية مع لبنان ٦٠٠.

^{٢٣} - د. محسن محمد صالح ، مرجع سبق ذكره، ص ٦١-٦٤

^{٢٤} - انظر كل من:

- حسام سويلم، في الذكرى الستين للنكبة: لماذا حقق الجيش الإسرائيلي التفوق الكمي على الجيوش العربية في كل جولات الصراع، مجلة القدس، (القاهرة: مركز الإعلام العربي، العدد ١١٤، السنة العاشرة، يونيو ٢٠٠٨) ص ٩٠-٩٦.

- رجب الباسل، القضية الفلسطينية: مداخل للفهم، (القاهرة: دار البشير للثقافة والعلوم، ٢٠١٠) ص ٦٣-٧٢.

- <https://goo.gl/TP1Rj>

حدث، وكانت المقاومة شبه النظامية تأتي من غرة مع قبول الجانب المصري لفتح باب التطوع ضد اليهود، وأوكلت تلك المهمة للضابط مصطفى حافظ الذي استشهد في أكتوبر ١٩٥٦.

٤- أما على الجانب الآخر، فقد عمدت الدولة اليهودية إلى توطيد أركانها واستمرار القيام بالمذابح ضد الفلسطينيين^{٢٥}، حيث استمرت عمليات التطهير والطرده للسكان العرب من أراضيهم حتى عام ١٩٥٤.

وجاء عام ١٩٥٦ يحمل تلاقي ثلاثة كيانات في مصالحتها وهي إسرائيل وفرنسا وبريطانيا، في الهجوم على كل من غزة وسيناء؛ لم يستمر العدوان طويلاً حيث رفضه المجتمع الدولي؛ وخاصة الولايات المتحدة والتي برفضها أظهرت نفسها كقوة كبرى صاعدة في مواجهة أفول القوى القديمة كفرنسا وبريطانيا، وتم إنهاء العدوان الثلاثي دون أي نصر عسكري مصري على القوى الثلاث، ولكن ما برز في هذا العدوان هو دور المقاومة الشعبية التي استبسلت في الدفاع عن مدن القناة، ومن ناحية أخرى، انتهاء قوة كل من بريطانيا وفرنسا على الصعيد الدولي^{٢٦}.

وعلى جانب آخر، وخلال الفترة ما بين ١٩٥٦-١٩٧٦ تحولت فيها منطلقات المقاومة نتيجة لهجوم الأنظمة العربية على التيارات الإسلامية، خاصة الإخوان المسلمين، إلى منطلقات سميت: وطنية قومية قطرية، فنشأت حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) سرّاً في أواخر الخمسينات^{٢٧}، وظلت تعمل سرّاً حتى أعلنت عن نفسها في يناير ١٩٦٥؛ وذلك في الكويت من قبل مجموعة متنوعة من التيارات الفكرية الشبابية الفلسطينية، وأعلنت الحركة عن نفسها بعملية نفق عيلبون^{٢٨}. شرعت فتح تنشئ قواعدها في بعض الدول العربية حتى استكملت جناحها العسكري "العاصفة"^{٢٩}، وتوسعت إلى مئات الخلايا على أطراف دولة إسرائيل في الضفة الغربية وغزة وفي مخيمات اللاجئين في سوريا ولبنان، بل في الأمريكتين. وفي نهاية عام ١٩٦٦ ومطلع عام ١٩٦٧ ازدادت العمليات العسكرية^{٣٠} التي كانت تنفذها "العاصفة" الجناح العسكري للحركة، ثم خرجت الحركة من الأردن بعد أيلول الأسود وتكرزت في لبنان وخرجت إلى تونس خلال الحرب الأهلية اللبنانية ومعها ضعفت قوة العاصفة^{٣١}.

وقعت حرب ٧٦ لأسباب عدة لا دخل للورقة بمناقشتها، ولكنها في الأساس ترتبط بوضع الدول العربية في ذلك الوقت، بالإضافة إلى نوعية تحالفاتها وتوجهاتها تجاه العالم الخارجي، وكانت الشعارات الرنانة المرفوعة في ذلك الوقت

^{٢٥}- وفي تلك الفترة، انظر كل من:

- د.محسن محمد صالح، مرجع سبق ذكره، ٧١-٧٦

- رجب الباسل، مرجع سبق ذكره، ٨٣-٨٦

^{٢٦}- للمزيد حول العدوان الثلاثي، انظر الآتي:

- حسام سويلم، مرجع سبق ذكره، ص ١١٤.

- <https://goo.gl/mX\HBL>

^{٢٧}- رجب الباسل، مرجع سبق ذكره، ص ٨٥.

^{٢٨}- تفجير شبكة مياه إسرائيلية تحت اسم عملية "نفق عيلبون"، التي فيها حاولت إسرائيل توصيل مياة نهر الأردن إليها.

^{٢٩}- للمزيد حول حركة فتح وعملياتها، انظر الروابط الآتية:

- <https://goo.gl/TXgp\u>

- <https://goo.gl/xswLmF>

- <https://goo.gl/C\HRvY>

- <https://goo.gl/HRmrVq>

- <https://goo.gl/TJeRbF>

^{٣٠}- ضمت عمليات العاصفة الاغتيالات والتفجيرات والاشتبكات اليومية مع الإسرائيليين بالإضافة إلى خطف الطائرات والتفجيرات في العواصم الأوروبية، أشهرها معركة الكرامة التي تصدت فيها العاصفة للهجوم الإسرائيلي على بلدة الكرامة في الأردن، ومن عملياتها أيضاً خطف طائرة اللاعبيين الإسرائيليين في ميونخ وتفجيرها وقتل من فيها، الأمر الذي دفع وزارة الدفاع الإسرائيلية إلى الاعتراف بحركة فتح وعملياتها.

^{٣١}- تأسيس حركة فتح وانطلاق الكفاح الفلسطيني المسلح، مجلة القدس، (القاهرة: مركز الإعلام العربي، العدد ١٤٥، السنة الثالثة عشرة، يناير ٢٠١١) ص ص

عن قوة غير حقيقية وغير موجودة، وخلال تلك الحرب استطاعت إسرائيل الحصول على كل من الضفة وغزة والقدس^{٣٢} وسيناء، ودخلت الضفة الشرقية^{٣٣} لنهر الأردن بالإضافة إلى تدمير ٨٠% من عتاد الجيش المصري ومقتل أكثر من عشرة آلاف جندي مصري وستة آلاف جندي أردني وألف جندي سوري فضلاً عن الجرحي. ومن جانب آخر اضطرت أكثر من ٣٠٠ ألف فلسطيني للنزوح^{٣٤}، فضلاً عن تحويل مثار القضية الفلسطينية من الحصول على الأراضي المحتلة في ١٩٤٨ إلى الحصول على الأراضي التي تم احتلالها في ١٩٦٧. وحدث كل ذلك في خلال ستة أيام فقط ثبت فيهم ضعف وفشل وهزيمة الأنظمة العربية، تلك الهزيمة التي سيتم تحويلها للشعوب العربية، وكما تم إطلاق اسم النكبة على هزيمة ١٩٤٨ أطلق عنوان النكسة على هزيمة ١٩٧٦.

خلال الفترة من بين ١٩٦٧ وحتى ١٩٧٠ لم تتوقف عمليات مقاومة الاحتلال الإسرائيلي على الإطلاق؛ سواء من الجانب المصري والسوري اللذين فتحا جبهة حرب الاستنزاف، أو من حركة فتح حيث اشتدت عمليات "العاصفة" ضد الأهداف الإسرائيلية من كل من لبنان والأردن وسوريا^{٣٥}.

أما الفترة من ١٩٧٠ وحتى ١٩٧٣ فشهدت تراجعاً للمقاومة لعدد من الأسباب؛ أهمها: خروج منظمة فتح من الأردن بعد أيلول الأسود وانتقاله إلى لبنان، بالإضافة إلى انتهاء حرب الاستنزاف بموت جمال عبد الناصر.

جاءت حرب ١٩٧٣ لتغلق مرحلة حروب الجيوش النظامية، فكانت آخر حرب دخلتها الجيوش العربية النظامية في مواجهة الكيان الصهيوني - حيث ضمت المراحل الآتية مجموعة من الأحداث العدوانية من قبل إسرائيل على بعض الدول العربية - ولينتهي أيضاً حلم القومية العربية مع سقوط شعارات الحقبة الناصرية أمام الهزيمة التي تحولت إلى نكسة، كما سبق الذكر، تحملتها الشعوب العربية وليست الأنظمة العربية التي نقلت مسئوليتها عن أخطائها السياسية العميقة والكارثية المؤدية لهزيمة ١٩٦٧، ومن جانب آخر لم تكن التحقيقات التي نفذت لمعرفة أسباب الهزيمة جدية أو ذات مغزى فقد كان من المفيد تحويل الهزيمة للشعوب للتأكيد على الاستبداد، خاصة مع تحويل حالة الاستبداد والقمع الشديدين للموحدين ما قبل الهزيمة والحرب إلى خطاب أيديولوجي يلوم الشعوب على تخلفها وثقافتها المتأخرة^{٣٦}. تلك الحالة ستعيشها المنطقة العربية حتى ما قبل عام ٢٠١١، ألا وهي حالة لوم الشعوب على حالة التردّي التي تعيشها بالإضافة إلى غياب مشروع حضاري لنهضتها مثل المشروع القومي العربي، مشروع مقبول من قبل الأنظمة، أو بمعنى أصح: شعارات تستغلها الأنظمة لصالحها ولتسكين الشعوب عن فظائعها. ولذلك نجد أن الدول العربية - خاصة تلك الموجودة على حدود الصدام مع الكيان الصهيوني - قررت أن حرب ١٩٧٣ هي آخر حروبهم مع ذلك الكيان، كخيار وحيد وليس كخيار استراتيجي، ذلك الخيار سيحسر الصراع العربي-الإسرائيلي في صراعات ثنائية، وليكون أكبر المتأثرين بتلك الحالة الفلسطينيون؛ إذ أصبح صراعهم ثنائياً، وسمي بالصراع الفلسطيني-الإسرائيلي أو القضية الفلسطينية.

^{٣٢} - د. أمل خليفة، الجدار العنصري وحلم القدس الكبرى عند اليهود، مجلة القدس، (القاهرة: مركز الإعلام العربي، العدد ١٤١، السنة الثانية عشر، سبتمبر ٢٠١٠) ص ٤٥-٤٨

^{٣٣} - أحمد عبد الفتاح، في القدس والضفة الغربية وغزة: وقائع نكبة أخرى، مقال منشور على إضاءات، متاح على الرابط التالي:

<http://idarat.com/>

^{٣٤} - حسام سويلم، مرجع سبق ذكره، ص ٧٩-١٠٠

^{٣٥} - د. محسن محمد صالح، مرجع سبق ذكره، ٨١-٨٣.

^{٣٦} - شاكر جرار، هزيمة من؟ نقد المنهج الثقافي في تحليل أسباب هزيمة ١٩٧٦، مقال منشور على حبر، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/NRvKov>

أما على الجانب الفلسطيني -وكما سبق الذكر- فقد اضطرت المقاومة الفلسطينية للخروج من الأردن والارتكاز في لبنان بعد أيلول الأسود، وخلال الفترة ما بين ١٩٦٩ وحتى ١٩٧٤ استطاعت حركة فتح الحصول على دعم عربي كبير ووصلت إلى قمة منظمة التحرير الفلسطينية وأصبح عرفات قائدها؛ وبذلك أصبحت ممثل الشعب الفلسطيني في المحافل الإقليمية حتى ١٩٧٤ عندما ألقى عرفات خطابه في الأمم المتحدة، وبرزت كقضية تحرير بعد أن كانت قضية لاجئين فقط.^{٣٧}

هذا، بالإضافة إلى انتشار الانتفاضات في الشارع الفلسطيني ردًا على الاحتلال، وكانت أشهرها انتفاضة الأرض؛ حيث انطلقت في ١٩٧٦ نتيجة زيادة حملات القمع والمصادرة الإسرائيلية لمساحات واسعة من الأراضي، حيث أعلنت الاضرابات ورفض التعويض الذي تقدمه إدارة الاحتلال وسمي هذا اليوم بيوم الأرض ومازال الشاع الفلسطيني يحييه بالمظاهرات حتى الآن.^{٣٨}

تنتهي تلك المرحلة مع توقيع السادات اتفاقية السلام في ١٩٨٧^{٣٩}، ودخول المقاومة الفلسطينية مستنقع الحرب الأهلية اللبنانية في ١٩٧٥، بالإضافة إلى غلق الحدود السورية والمصرية والأردنية أمام المقاومة الفلسطينية هذا من ناحية، وعلى الجانب الآخر ازادت الاغتيالات التي نفذها الجانب الإسرائيلي ضد قيادات منظمة التحرير الفلسطيني.^{٤٠}

المرحلة الثالثة- مرحلة السلام ومحاولات التطبيع من ١٩٧٩-٢٠١٠:

تتسم تلك المرحلة بما يمكن قوله بالمتناقضات، ففي الوقت الذي أغلقت دول المواجهة مع إسرائيل خيار دخولها في حرب مباشرة نظامية مع إسرائيل، لم تتوقف إسرائيل عن عدوانها، وإذا وجد في تلك المرحلة حروب إسرائيلية عربية، فهي عادة تمثل عدوانًا واحتياكيًا إسرائيليًا يقابله دفاع فقط من العرب، وفي الوقت الذي تشهد تلك المرحلة اتفاقيات سلام مع معظم دول المواجهة مع إسرائيل؛ من مصر والأردن وحتى ما سيمسى السلطة الفلسطينية، تشهد أيضًا صعود أنماط جديدة ومتجددة من المقاومة؛ ألا وهي الانتفاضات وظهور حركات مقاومة جديدة مثل: حماس، ويمكن تقسيمها إلى ثلاث فترات مختلفة: الأولى من ١٩٧٩ إلى ١٩٩٣، الثانية ١٩٩٣ إلى ٢٠٠٦، والثالثة ٢٠٠٦-٢٠١١.

الفترة الأولى (١٩٧٩-١٩٩٣) استمرت المقاومة الفلسطينية تستهدف وتتصدى للكيان الإسرائيلي في ظل الحرب الأهلية اللبنانية حتى ١٩٨٢، إذا بدأت إسرائيل في اجتياح الجنوب اللبناني حتى وصلت إلى مشارف بيروت، وكانت نتيجة هذا الاجتياح خروج المقاومة من لبنان بالإضافة إلى مذبحه صبرا وشاتيلا، ولذلك فقط انخفضت أعمال المقاومة نتيجة خروجها من دول الطوق وصولاً لعام ١٩٨٧.^{٤١}

بعد انخفاض عمليات منظمة التحرير وفتح، بدأت قوى أخرى تظهر على مشهد المقاومة العسكرية؛ ألا وهي حركة المقاومة الإسلامية (حماس)^{٤٢} وذلك في أثناء انتفاضة ١٩٨٧^{٤٣}؛ والتي بدأتها الحركة حيث رتبت مظاهراتها وقد شملت

^{٣٧} -د.محسن محمد صالح، مرجع سبق ذكره، ص ٨٧-٨٨.

^{٣٨} - بشير أبو القرايا، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٩.

^{٣٩} -المزيد من التفاصيل حول اتفاقية كامب دايفيد، انظر الآتي: <https://goo.gl/xbkShv>

^{٤٠} -المرجع السابق، ص ٨٨-٩٠.

^{٤١} -المرجع السابق، ص ٩٠-٩٤.

^{٤٢} - وأسستها الشيخ أحمد ياسين مع بعض أعضاء الإخوان المسلمين العاملين في غزة مثل عبد العزيز الرنتيسي ومحمود الزهار، وكان الإعلان الأول لحركة حماس عام ١٩٨٧، وتعتبر الحركة نفسها امتدادا لجماعة الإخوان المسلمين التي تأسست في مصر عام ١٩٢٨. وقبل إعلان الحركة عن نفسها عام ١٩٨٧ كانت تعمل على الساحة الفلسطينية تحت اسم "المرابطون على أرض الإسراء" و"حركة الكفاح الإسلامي".

الانتفاضة كافة قطاعات الشعب الفلسطيني بكافة طوائفه، وانقسمت الانتفاضة إلى جزئين: الأول- تشمل الاضرابات والمظاهرات والمواجهات السلمية مع الجيش الإسرائيلي واستمر منذ ١٩٨٧ حتى ١٩٩٠، أما الجزء الآخر فاتسم بالعمليات المسلحة ضد الكيان الصهيوني لتنتهي الانتفاضة في عام ١٩٩٣ مع اتفاق أوسلو.

أما فيما يتعلق بالمفاوضات بين الفلسطينيين وإسرائيل، فجرت مفاوضات علنية في مؤتمر مدريد ١٠-٣٠-١٩٩١م، ثم مفاوضات ثنائية في نيويورك امتدت من شهر نوفمبر ١٩٩١م، إلى شهر ١٠-١٩٩٤م، وأخرى سرية بين بعض قادة منظمة التحرير الفلسطينية وبين شمعون بيريز في أوسلو عاصمة النرويج، واستيقظ الناس في ٣٠ أغسطس ١٩٩٣م على إعلان اتفاق أوسلو والمعروفة رسمياً باسم إعلان المبادئ حول ترتيبات الحكم الذاتي الانتقالي، ووقع عليه في واشنطن برعاية الرئيس كلينتون في ١٣-٩-١٩٩٣م على أنه اتفاق إعلان مبادئ، يخلص الكيان الصهيوني من ورطتها في مواجهة الانتفاضة، ويقدم للطرف الفلسطيني نفاً من الأرض الفلسطينية، كما تم توقيع اتفاق "الحكم الذاتي في غزة وأريحا أولاً" في القاهرة في ٤-٥-١٩٩٤م، وسمح للسلطة الفلسطينية بالدخول إلى أريحا وقطاع غزة، في الشهر نفسه، ثم دخل رئيس المنظمة الرئيس ياسر عرفات إلى غزة في يوليو ١٩٩٤م. وتنص الاتفاقية على إقامة سلطة حكومة ذاتية انتقالية فلسطينية (أصبحت تعرف فيما بعد بالسلطة الوطنية الفلسطينية)، ومجلس تشريعي منتخب للشعب الفلسطيني، في الضفة الغربية و قطاع غزة، لفترة انتقالية لا تتجاوز الخمس سنوات، بالإضافة إلى أن الاتفاقية نصت، على أن هذه المفاوضات سوف تغطي القضايا المتبقية، بما فيها القدس، اللاجئون، المستوطنات، الترتيبات الأمنية، الحدود، العلاقات والتعاون مع جيران آخرين^{٤٤}.

وعلى الجانب العربي، وبعد توقيع مصر على اتفاقية السلام في إسرائيل، فقد ابتعدت عن القضية الفلسطينية تمامًا وبدأت في اتخاذ الولايات المتحدة حليفًا استراتيجيًا وما يتبعه ذلك من محاولات التطبيع مع إسرائيل، ودخلت كل العراق وإيران حربهما والتي انتهت في ١٩٨٨، وانكفئت دول الخليج على نفسها بعد انخفاض أسعار البترول، ومع دخول العراق للكويت في ١٩٩٠ وما استتبعه ذلك من حرب على العراق بتحالف تقوده الولايات المتحدة الأمريكية ضدها، وما نتج عن تلك الحرب من فرض عقوبات على العراق وتغيير موازين القوى في المنطقة العربية والخليج بشكل خاص، بالإضافة إلى إنشاء بعض القواعد الأمريكية في بعض دول الخليج وذلك لإقرار هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على مقدرات المنطقة.

أما السياق العالمي، فكانت الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي على وشك الانتهاء لصالح الولايات المتحدة كقطب أوحدها يستطيع فرض رؤاه على العالم، ومع بداية التسعينات تم تأكيد ذلك بسقوط الاتحاد

- للمزيد حول حركة حماس انظر الروابط التالية:

- <https://goo.gl/Ya^acB>
- <https://goo.gl/vy^Bfa>
- <https://goo.gl/iSq^Cd>

^{٤٣} - للمزيد حول انتفاضة ١٩٨٧، انظر الآتي:

- الانتفاضة الأولى... عندما يرسم الفلسطينيون تاريخهم بالدم، مجلة القدس، (القاهرة: مركز الإعلام العربي، العدد ١٤، السنة الثالثة عشرة، يناير ٢٠١١) ص ١٨-٢٢

- <https://goo.gl/oPffNb>
- <https://goo.gl/^ftrCu>
- <https://goo.gl/KuRjQG>
- <https://goo.gl/Q^yxd^>

^{٤٤} - للمزيد حول اتفاق أوسلو، انظر الروابط التالية:

- <https://goo.gl/Xt^Ecw>
- <https://goo.gl/wpZa^h>
- <https://goo.gl/bEaQAR>

السوفيتي وسقوط حائط برلين، وظهرت الولايات المتحدة كحليف استراتيجي لمعظم الدول العربية خاصة مصر وبعض دول الخليج خاصة بعد حرب الخليج الثانية، وإن كان هذا التحالف يهدف بالأساس مصلحة إسرائيل.

الفترة الثانية (١٩٩٣ إلى ٢٠٠٦)، بدأت تلك المرحلة بزيادة اتفاقيات السلام مع إسرائيل، فقد وقعت الأردن على اتفاق سلام مع الكيان الصهيوني في ١٩٩٤^{٤٥}، وتبع ذلك فتح العديد من الدول العربية لمكاتب تبادل ارتباط والتمثيل التجاري لإسرائيل لديها مثل: قطر، تونس، المغرب، جيبوتي. ثم توقيع اتفاق أوسلو ٢ بين كل من السلطة الفلسطينية وإسرائيل في ١٩٩٥، ثم اتفاقي واي ريفر ١ و٢^{٤٦}.

وبتلك الاتفاقيات والمعاهدات بدأت تظهر الأصوات المنادية بتطبيع العلاقات مع إسرائيل خاصة مع وجود بنود في تلك الاتفاقيات تنادي بذلك التطبيع، وظهرت العديد من الدراسات والأبحاث التي تنادي بتطبيع العلاقات الاقتصادية كمدخل لباقي الجوانب، وتبلورت تلك الفكرة في كتاب شمعون بيريز الشرق الأوسط الجديد الذي نشره عام ١٩٩٣، وبدأت بعض الدول العربية في الدخول مع علاقات اقتصادية علنية وغير علنية مع إسرائيل ومن ضمن تلك الدول: مصر وتركيا والأردن وقطر وتونس وبعض الدول الخليجية^{٤٧}. وظهرت نتيجة لذلك حملات شعبية تدعو إلى رفض التطبيع ومقاطعة إسرائيل ومنتجاتها، بل امتد الأمر إلى مقاطعة المنتجات التي تأتي من دول مساندة لإسرائيل خاصة أثناء الانتفاضة، وانتشرت حركات المقاطعة تلك ووصلت إلى كل من أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية.

أما على الجانب الإسرائيلي فكان أحد أكبر المستفيدين من دخوله في عملية مفاوضات طويلة مع الدول العربية فانتعش الاقتصاد الإسرائيلي وأخذت علاقاتها مع الدول الأخرى غير العربية في التسارع هذا من جانب، وماطلت إسرائيل في تنفيذ الاتفاقيات التي وقعتها خاصة مع الفلسطينيين بحجة الحاجة إلى مزيد من المفاوضات، وفي نهاية القرن الماضي تعثرت المفاوضات ودخلت في نفق مظلم من جانب آخر، ومن ناحية أخرى استمرت المذابح الإسرائيلية؛ ففي ١٩٩٤ نفذ أحد المستوطنين مذبحه الحرم الإبراهيمي، وقامت القوات الإسرائيلية بارتكاب مذبحه قانا في ١٩٩٦ في جنوب لبنان.

ولياًتي بداية القرن الجديد بانتفاضة فلسطينية جديدة عقب اقتحام شارون لساحة المسجد الأقصى في سبتمبر ٢٠٠٠، وعلى أثرها اندلعت في كل أنحاء الأراضي الفلسطينية انتفاضة أطلق عليها انتفاضة الأقصى، وشارك فيها كل طوائف الشعب الفلسطيني وناصرتها المظاهرات العربية في عدد من عواصمها، إلا أن الانتفاضة بدأت في الخفوت مع موت ياسر عرفات في ٢٠٠٥^{٤٨}، وتميزت تلك الانتفاضة بانتشار العمليات العسكرية خاصة العمليات الاستشهادية التي نفذها حماس في الداخل وعمليات الفصائل الأخرى مثل كتائب شهداء الأقصى، وعلى الجانب الآخر نفذت إسرائيل عمليات اغتيال لعدد من القادة أهمهم أحمد ياسين وعبد العزيز الرنتيسي^{٤٩}.

^{٤٥} - للمزيد حول اتفاقية السلام الأردنية الإسرائيلية، انظر الروابط التالية:

- <https://goo.gl/WfKEdE>
- <https://goo.gl/CRXjQV>

^{٤٦} - حول الاتفاقيات العربية الإسرائيلية، انظر الآتي:

- <https://goo.gl/°gXiex>

^{٤٧} - انظر في ذلك كل من:

- عزيز حيدر، الثورات العربية والعلاقات الاقتصادية بين الدول العربية وإسرائيل، شؤون فلسطينية، (بيروت: مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، العدد ٢٤٩ - ٢٥٠، حريف ٢٠١٢) ص ص ٨٨-٩٢.

- <https://goo.gl/s1tMof>
- <https://goo.gl/MhabqR>

^{٤٨} - د.محسن محمد صالح، مرجع سبق ذكره، ١٢٤-١٣٠.

^{٤٩} - المرجع السابق.

وبدأت إسرائيل ببناء جدار الفصل العنصري في ٢٠٠٢ الذي ترى أنه سيمكثها من العيش بأمان مع تقطيع أوصل الأراضي الفلسطينية، بالإضافة إلى مصادرة العديد من الأراضي لصالح بناء الجدار. وقد قامت القرى التي تمت مصادرتها بالتظاهر بشكل أسبوعي ضد الجدار هذا في الداخل، أما في الخارج فقد نجحت عمليات التوعية والإعلام بربط إسرائيل بنظام الفصل العنصري بجنوب أفريقيا^{٥١}.

الفترة الثالثة (٢٠٠٦-٢٠١١) استمرت المقاومة الفلسطينية للصهاينة بأشكال مختلفة بعد انتهاء الانتفاضة، حيث تركزت في إطلاق الصواريخ خاصة من قطاع غزة؛ ردا على العدوان العسكري الإسرائيلي، ولعل العملية الأبرز في تلك الفترة كانت في يونيو ٢٠٠٦ حيث اجتمعت ثلاث فصائل وهاجمت موقعا عسكريا، بالإضافة إلى عملية معبر كرم أبو سالم والتي نتج عنها أسر جلعاد شاليط^{٥٢}.

وفي نفس العام ٢٠٠٦ نفذت إسرائيل عدوانها على الجنوب اللبناني بعد أسر حزب الله لاثنتين من جنودها، حيث استمر العدوان الإسرائيلي على جنوب لبنان حوالي ٣٣ يوما قامت القوات الإسرائيلية فيه بقصف ضواحي الجنوب، وأظهر فيها حزب الله قدرة على الصمود ورد العدوان^{٥٣}.

وعلى صعيد آخر، تصاعد الخلاف الفلسطيني-الفلسطيني في أعقاب الانتخابات التشريعية في ٢٠٠٦ والتي حصلت فيها حركة حماس على أغلبية مقاعد المجلس التشريعي الفلسطيني. ومع سيطرة حماس على قطاع غزة في ٢٠٠٧، بدأ الحصار الإسرائيلي، حيث أعلن مجلس الوزراء الإسرائيلي أن غزة "كيانٌ مُعادٍ" في سبتمبر ٢٠٠٧، واستمر الحصار على غزة والذي أيده محمود عباس وساعد في إحكامه نظام حسنى مبارك.؛ حيث قامت إسرائيل بانتهاك القانون الإنساني الدولي من خلال تقييد حركة التجارة والناس، وكان لذلك العديد من الآثار على مختلف الجوانب الحياتية للناس في غزة. ويتمثل جوهر الأزمة في الحرمان من الحقوق الأساسية لسكان غزة وتدهور مستويات معيشتهم بسبب استمرار التدهور الاقتصادي الذي يزيد من حدة الفقر بالإضافة إلى زيادة حجم البطالة؛ والانخفاض المطرد في حالة البنية الأساسية وفي مجالات الرعاية الصحية والتعليم والصرف الصحي. وعقب فوز محمد مرسي حدثت انفراجة في هذا الوضع، لكن مع صعود نظام يوليو ٢٠١٣ أصبح الحصار على أشده^{٥٤}.

تنتهي تلك المرحلة والوضع على مستوى الصراع العربي-الإسرائيلي غاية في السوء؛ فقد خفت درجة الاهتمام بالقضية سواء على المستوى الشعبي أو الرسمي، فانكفأت الشعوب على أنفسها نتيجة حالة الاستبداد المستمرة ما يزيد عن نصف قرن وأزمات التنمية الشاملة المتعددة والمتكررة، حتى وعلى الرغم من صعود المطالب بالإصلاح ومن بعدها

^{٥١} - ليندا طبر وعلاء العزة، المقاومة الشعبية بعد الانتفاضة الثانية، مجلة الدراسات الفلسطينية، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، عدد ٩٧، شتاء ٢٠١٤)، ص ١١٩-١٢١

^{٥٢} - كركيا حسين، المقاومة الفلسطينية بين اليوم والأمس (تطور المقاومة)، مجلة القدس، (القاهرة: مركز الإعلام العربي، العدد ١١٤، السنة العاشرة، يونيو ٢٠٠٨)

ص ١٠١-١٠٩.

^{٥٣} - للمزيد حول العدوان الإسرائيلي على لبنان، انظر الآتي:

- نادية مصطفى، سيف الدين عبد الفتاح (تنسيق علمي وإشراف)، العدوان، المقاومة الحضارية في حرب لبنان الدلالات والمآلات، (القاهرة: برنامج حوار الحضارات، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ٢٠٠٧)

- <https://goo.gl/n^xynB>

- <https://goo.gl/7a7Sfw>

- <https://goo.gl/Y1CqEt>

^{٥٤} - مروة يوسف، مقاومة غزة ودلالات عشرة أعوام من الحصار، (في) فضلية قضايا ونظرات، (القاهرة: مركز الحضارة للدراسات السياسية، العدد الخامس، ٢٠١٧) ص ٦٦-٧٦، متاح على الرابط التالي:

- <https://goo.gl/KWGsk>

صعود الثورات العربية إلا حالة الانكفاء بدت أكثر اتساعاً خاصة مع صعود الثورات المضادة ودخول العديد من الدول العربية حالة من الاقتتال الداخلي مثل سوريا وليبيا، ومعاناة دول أخرى من عودة حكم العسكر. أما على الصعيد الرسمي فيمكن القول إن تصهين الأنظمة العربية قد اتضح بعد مائة عام من المناورات حول حقيقتها.

بالإضافة إلى تكرار العدوان الإسرائيلي على غزة مع حالة من الصمت العربي والغربي على تلك الاعتداءات في ٢٠٠٨ و ٢٠١٢ و ٢٠١٤، بل طال الأمر فلسطين نفسها، وأصبح هناك ما يعرف بالصمت الفلسطيني أو في الضفة على ما يجري في غزة، خاصة مع زيادة الانقسام الفلسطيني الفلسطيني في ٢٠٠٦ عقب فوز حماس بالانتخابات التشريعية. وفي ظل كل تلك التغييرات تتجدد كل حين أعمال المقاومة، فتظهر في القدس انتفاضة السكاكين^{٥٥} في ٢٠١٥؛ ردًا على الاعتداءات التي لا نهاية لها من قبل سلطة الاحتلال الإسرائيلي.

اليوم يدخل الصراع في مرحلة أخرى هي الأكثر التباسًا منذ بداية الصراع؛ مرحلة تتضح فيها المعارك الفكرية بين التيارات المختلفة حول طبيعته وماهيته وكيفية حل الأزمة الناشئة من وجوده، كل ذلك في ظل تسارع من الأنظمة حول تلبس الأمر على الشعوب العربية والتي نالت كفايتها عبر مائة عام من دورات الاستبداد وفشل محاولات الاستقلال وما يترتب عليها من تردي الأوضاع ومن اقتتال داخلي في مشاهد متكررة، مع حضور للخارج رافض لعمليات الإصلاح بدعوه للأنظمة المستبدة ودعوه المطلق لإسرائيل على الرغم من كم الانتهاكات التي تمارسها، في الوقت الذي يعلي الخارج من شأن القانون الدولي وحقوق الإنسان.

تنتهي المائة عام والمنطقة على أعتاب عملية إعادة تشكيل أخرى في قلبها الصراع العربي-الإسرائيلي، لكنها عملية ليست واضحة للعيان نظرًا لاستمرار حالة الانكفاء الشعبي العربي سابقة الذكر، ونتيجة لانخراط الأنظمة في معادلات سياسية واستراتيجية من نوع جديد وبوتيرة شديدة العجلة والهولة، ربما ستتضح معالمها خلال الأعوام القليلة القادمة.

وختامًا يمكن القول إن لذلك الصراع بعض سمات أساسية:

- **المقاومة:** فقد ثبت بمتابعة مراحل الصراع عبر مائة عام أن المقاومة هي إحدى السمات الأساسية لهذا الصراع منذ بداية إرهاباته، تختلف أشكالها وحدتها باختلاف الظروف المهيمنة لها. انتقلت المقاومة من المظاهرات والاحتجاجات في بداية الصراع إلى مرحلة شبه الجيوش النظامية مع جيش الجهاد المقدس في مرحلة تشكيل الصراع، ثم انتقلت لمرحلة الحرب المفتوحة خاصة مع حركة فتح خلال حرب ١٩٧٦. ومع تحول القيادات العربية تحولت المقاومة إلى الداخل الفلسطيني، وفي المرحلة الثالثة وخلال العدوان الإسرائيلي على غزة في ٢٠٠٨ و ٢٠١٢ و ٢٠١٤ صمدت المقاومة.
- **تمثل القدس البعد العقائدي لهذا الصراع، البعد الذي تفضل بعض التيارات الفكرية في المنطقة العربية غيابه عن الصراع، ولكنها كانت ولا زالت في قلبه وصميمه دائما، وربما يبدو للوهلة الأولى غياب القدس عن مراحل الصراع في هذه الورقة إلا أنها كانت دائما ذات خصوصية سواء في سياسات الاحتلال التآمر على المسجد الأقصى، أو في مقاومة تهويد القدس وحركة الرباط للدفاع عن القدس والأقصى^{٥٦}.**

^{٥٥} - حول انتفاضة السكاكين انظر:

<https://goo.gl/2DmsYv>

^{٥٦} - ماجدة إبراهيم، أمة في حركة... الرباط في الأقصى بين التحدي والتصدي، (في) **فصلية قضايا ونظرات**، (القاهرة: مركز الحضارة للدراسات السياسية، العدد الخامس، ٢٠١٧)، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/1NSjtt>

- كانت الأنظمة العربية -ومازالت- تمثل أهم تحديات ذلك الصراع، فعبّر مائة عام يمكن القول إن الأنظمة استفادت من الصراع في تبرير استبدادها وترويح مشاريعها سواء باعتبار نفسها الحصن الحصين للقضية أو اعتبار القضية عبئاً يجب التخلي عنه، هذا بالإضافة إلى تحميل الشعوب الأخطاء السياسية الفادحة التي ارتكبتها تلك الأنظمة عبر ترويح أن هزيمتها هي هزيمة للشعوب العربية نتيجة لتخلفها، وفرض نكبات ونكسات في الثقافة والضمير والوعي العربي هي بالأساس خطايا سياسية للأنظمة الاستبدادية عبر مراحلها.
- ومن جانب آخر نتيجة للمناورات السياسية للأنظمة العربية في ماهية الصراع العربي الإسرائيلي، مع الأبواق الإعلامية والنخب التي تروج للأنظمة تلك؛ فإن ذلك أدى بالضرورة إلى تلبس ماهية الصراع وجوانبه على الشعوب العربية، في المراحل المختلفة وصولاً إلى التباس مفهوم "العدو" في الوضع الحالي.
- كان الخارج -وما يزال- أحد أهم محددات تطور الصراع عبر مائة عام، سواء من خلال تقسيم المنطقة تبعاً لمصالحه أو دعم الكيان الصهيوني عبر المراحل التاريخية المختلفة، وصولاً لإعادة تشكيل المنطقة القائمة الآن وفي قلبها الكيان الإسرائيلي.
